بدايةالعهدالجديدفيتاريخالنحو العربيبالإمامالفراهي

BEGINNING OF NEW ERA IN THE HISTORY OF ARABIC GRAMMAR WITH IMAM AL-FARAHI

الدكتور أورنك زيب الأعظمي *

DOI: 10.29370/siarj/issue3ar8
Link: https://doi.org/10.29370/siarj/issue3ar8

ABSTRACT:
India has been contributing a lot to the Arabic language and literature since its arrival to the sub-continent. Its scholars, both Hindus and Muslims, did their best to enrich Arabic and to promote it on their motherland. Even they used the Arabic language as their secret language. Numerous scholars from different states and districts emerged to develop Arabic, its sciences and arts. They wrote books, both original and translation, and opened madrasah, colleges and universities to teach Arabic language and literature. From Azamgarh, which is a small district of India and a famous centre of Arabic and Islamic Studies, emerged several scholars to serve Arabic and to contribute to its development. Among such scholars there is one scholar, 'Allamah Abd-ul-Hamid al-Farahi, whose name and fame crossed the boundaries of the nation. He became famous in the Arab world for his valuable contributions towards knowledge and different sciences. As regards Arabic he wrote books in Arabic, composed poems in Arabic and developed Arabic grammar. His treatises and pamphlets are so famous in this regard. They are taught in the India madrasas and are also prescribed in the Indian colleges and universities. He invented some new things and introduced some new methods in this field which are presented in this short article.

KEYWORDS: *Al-Farahi Arabic, language, Grammar, literature, contributions*

الكلمات المفتاحية: الفراهي ، العربية ، اللسان ، النحو ، الادب ،خدمات

مدخل في الموضوع:

* مدير تحرير "مجلة الهند" الفصلية وأستاذ مساعد، قسم اللغة العربية وآدابها، الجامعة الملية الإسلامية، نيو دلهي، الهند
البريدالالكترونى:zeb@yahoo.co.in11 aurang

قد أبرز الله تعالى في كل عهد شخصيات كبرى أحيت العلوم ونفخت الروح فيها وتركت مآثر قيّمة في كل مجال سواء كان مجال التفسير أو مجال الحديث، مجال الأدب أو مجال الفقه، مجال الطب أو مجال الحساب. ومن هذه المجالات المختلفة مجال النحو العربي وهو مجال مهمّ بحيث كونه سلّمًا إلى العلوم العربية الأخرى؛ علوم التفسير والحديث. والفقه

وفي هذا المجال برز عدد كبير من الرجال الذين ذاع صيتهم وأولهم سيبويه وهو الذي صنّف كتابًا منفردًا في هذا الموضوع وسمّاه بـ"الكتاب" ثم حذا العلماء حذوه حتى جاء الأستاذ جار الله الزمخشري فلمّ ما شتّوه وجمع ما فرّقوه وصنّف كتابًا منفردًا على هذا الموضوع وسمّاه بـ"المفصل في علم العربية" وهو مجموع لأصول نحوية مختلفة وأما وجه التسمية به فقد سمّي الكتاب بهذا الاسم لكونه فصلًا فصلًا لا لكونه مفصّلًا ضد مجمل لأنه يفضّل الإجمال.

ولما أستقرّ أصولهم وأتابع آرائهم أجد أن فيها نقائص عديدة. إنهم راغبون في الأصول عن الأمثلة فهم يعلمون قواعد اللغة صرفًا عن قدر الأمثلة الذي نحتاج إليه وفضلًا عن ذلك يجعلون لها تبعًا عوامل كثيرة لا تعدّ.

بينما كان ذلك شائعًا إذ وجدنا شخصية عملاقة تبحّرت في لغات عديدة وأخذت علومًا شتى وكانت لها اليد الطولى في النحو العربي فجدّدت هذا الفن وأضافت إلى هذا العلم إضافة مهمّة ولها آثار في ذلك وهي العلامة حميد الدين الفراهي رحمه الله تعالى.

آثار الإمام الفراهي في هذا الفن:

لقد ترك الإمام الفراهي آثارًا عديدة في مختلف مجالات العلم والأدب والفن، أما علم النحو فقد ترك فيه ثلاث رسائل "أسباق النحو" جزءان ورسالة منظومة باسم "تحفة الإعراب" وله أيضًا آثار غير مطبوعة في ذلك منها "الدر النضيد في النحو الجديد" و"مسائل النحو" ولكن هذه الرسائل الثلاث جامعة لآرائه التي ذكرت في تينك الرسالتين فإني أبحث عن هذه الرسائل صرفًا عن تينك وأشير إلى بداية عهد جديد في عالم النحو العربي.

فيقول الإمام الفراهي وهو يذكر اختلافه:

"قد أخذنا هذا الكتاب- أسباق النحو- من كتابي "النحو الجديد" فقد خالفنا في بعض مواضعه كتب النحو القديمة وأما سبب اختلافه بيننا فهو في الكتاب المأخوذ عنه".[1]

وبعد ذلك يذكر بعض مواضعه الأصلية الذي خالف فيه النحويين القدامى:

"ولدفع الشبهة نذكر هناك اختلافين أولهما أنا وضعنا حجر أساس الإعراب على تبدل أحوال الاسم خلاف بنائه على العوامل فمن ذلك أولًا نتخلص من مئة عامل وثانيًا أن الأفعال تكون غير معربة لعدم تبدلها فيسهل أن أعلم الأعراب قبل أن أقع في طول الحديث عن الفعل ومن أكبر نفعه أن الطالب يجعل يمارس الكلام وإذا بدأ البحث عن الفعل بدأ استعماله على وقته لأن الطالب قد علم بالإعراب وقبل أن يتم البحث عنه يكون الطالب ذا استعداد رائد في الأدب دون الطريق القديم الذي يحفظ الطالب فيه- لمدة طويلة- قواعد النحو والصرف التي هي صعبة مع عدم ملائمة النفوس ثم بعد ذلك يبلغ الموضع ويبدأ دراسة الأدب العربي فقد جرّبنا هذه الطريقة الحديثة ونلنا فوزًا باهتًا وثانيهما هو الذي اعتنى به في هذا الكتاب الجديد بأنا وضعنا الأمثلة موضع التعاريف غالبًا وإن الإنسان يعرف شيئًا بالتمثيل لا بالتعريف المنطقي وكثيرًا ما نرى أن المنتهي يعجز فهمه عنه فلم يوقع الطالب في صعوبة التعريفات".[2]

وأيضًا يذكر اختلافه في الرسالة المنظومة:

"هذه رسالة (تحفة الإعراب)، إنا وجدناها سهلًا ليحفظها الطلاب المبتدون. إن ما سلكه القدماء واختاروه سبيلًا إلى إفهام الطالبين هو صعبٌ جدًا وكثيرًا ما ترى أن من يسلكه يتعب ويصبه اللغوب لأن ذاك السبيل مظلم والمقام المراد بعيد جدًا ومع ذلك لا بد لكل قوم من زلة وركلة فقد عرفنا الإعراب تعريفًا جديدًا ورتبنا هذا الفن ترتيبًا حديثًا فقد صارت الأفعال متخلصة من الإعراب والعوامل مجلوة عن البلاد فصار الفن غير صعب والطريق سهلًا قصيرًا".[3]

باب جديد في علم النحو:

وهكذا فتح الإمام الفراهي بابًا جديدًا للتفكير في النحو العربي وهو أن لا تجعل للإعراب عوامل ولا نعرب الأفعال فإنها مبنية غير معربة ولا نسلك المسلك القديم لأن فيه صعوبة وطولًا زائدًا عليها ونفهم القواعد بالأمثلة ولا نميل كثيرًا إلى القواعد وتعاريفها فنكون حملًا ثقيلًا على من يطلب اللغة العربية ويريد علمها وتعليمها.

ولمزيد التوضيح آتي بأمثلة عديدة وأختم هذا البحث وأدعو أهل التحقيق إلى أن يحذوا حذو الإمام الفراهي ويبلغوا المرام لأنه قد خط لنا الأعلام وسهل الطريق إليه ومن جدّ وجد.

1. نفي العوامل:

ذكرت أن الإمام الفراهي خالف القدماء في كون العوامل سببًا للإعراب بل هو تبديل الأحوال فقط فهو يذكر أحوال الاسم وينفي العوامل عن بلادها:

"إن تبدل الأحوال لهو تبدل المنازل فافهم تبدل المنازل تعلم تبدل الأحوال:

إن الاسم حينما يركّب يكن له ثلاث منازل: الأولى: حينما كان جزءًا ضروريًا للكلام كـ"زيدٌ ذاهبٌ" فهناك "زيد" و"ذاهب" جزءان ضروريان. فإن فقد أحدهما فلا يتم الكلام. والثانية: حيما كان جزءًا زائدًا ولكن بلا احتياج إلى أي وسيلة كـ"زيدٌ ذاهبٌ غدًا" فهناك زيدت كلمة "غدًا" لمزيد العلم ولكنها بلا وسيلة. والثالثة: حينما كان جزءًا زائدًا ومحتاجًا إلى وسيلة كـ"زيد ذاهب إلى المدرسة" فهناك زيدت كلمة "المدرسة" لمزيد العلم ولكنها لم تلتحق بالكلام إلا بوسيلة.

ويقال لهذه المنازل على الترتيب الرفع والنصب والجر والأسماء التي تحتمل هذه المنازل يقال لها المرفوع والمنصوب والمجرور.

والآن نعرف هذه المرفوع والمنصوب والمجرور بأن ذاك الاسم في حالة الرفع أو النصب أو الجر أو في محل الرفع أو النصب أو الجر.

وبالجملة فإن الاسم من حيث تركيبه على ثلاثة أحوال: الرفع والنصب والجر فقد وجدت أن في آخر المرفوعٌ وفي آخر المنصوبً وفي آخر المجرورٍ فكأن هذه التبدلات أعلام للأحوال وعلامات لها".[4]

ويذكر أدوات الإشارة ولا يشير إلى عواملها فهو مخالف ويقول:

"أدوات الإشارة هي: هذا، هذه، ذلك، تلك والمثنى هذان، هاتان، ذانك، تانك، والجمع: هؤلاء وأولئك".[5]

ويذكر الأمثلة ولا يقول شيئًا:

"هذا القلم نفيس. وهذه الدواة رديئة. هذا الكتاب كامل. وهذه الرسالة ناقصة. ذلك الطفل شرير. وتلك البنت صالحة. هذان الطفلان أخوان. وهاتان البنتان أختان. ذانك الرجلان مسافران. وتانك المرءتان غريبتان. هؤلاء قوم زيد. وأولئك أصحاب عمرو. جواب هذين الطفلين صحيح. قول ذينك الرجلين صادق. خط هاتين البنتين جميل. عم تينك الأختين تاجر".[6]

2. عدم إعراب الأفعال:

قد ذهبوا إلى أن الأفعال معربة أيضًا وأما الإمام الفراهي فله أصل واحد وهو أن الأفعال لا تبدل أحوالها فهي لا تعرب لأن تبدل الإعراب هو سبب الإعراب فإن صارت الأفعال غير متبدلة أحوالها صارت غير معربة فهو يقول:

"إن الفعل ولو كان معروفًا أو مجهولًا لا بد من أن يكون تارة غائبًا وأخرى حاضرًا وتارة متكلمًا وأخرى مثنى وتارة جمعًا وهكذا تارة مذكرًا وأخرى مؤنثًا فإن تبدل الشيء يسبّب تبدلًا خفيفًا في أشكال الفعل وهذا هو المسمّى بـ"الصرف".[7]

ولضيق الحجم أصرف عن ذكر الأمثلة ومن يردها فليراجع نفس الكتاب.

3. العناية بالأمثلة:

قد ذكرت أنه كان في مسلك القدماء نقص هو أنهم مائلون إلى التعاريف المنطقية ولا ينظرون إلى الأمثلة والطالب المبتدئ له شغل بالأمثلة فهو يتوجه إليها ويسرع إلى فهم القواعد منها فلإزالة هذا النقص أكثر الإمام الأمثلة واعتنى بها ولنا أمثلة لا تحصى نذكر بعضًا منها.

يذكر المسند إليه والمسند فهو يأتي بالأمثلة ولا يذكر التعريف:

"سليم عاقل ونسيم غافل. بشير فارغ ونذير مشغول. وحيد غائب ومجيد حاضر. رشيد أمير وجعفر وزير. هاشم غني وحاتم سخي.

"الإنسان حاكم. والحيوان محكوم. العالم عزيز والجاهل ذليل. المجلس قريب. والمكتب بعيد. الطعام حاضر. والخادم غائب. السؤال سهل. والجواب مشكل. الامتحان قريب. والتعطيل بعيد".[8]

وكذا يذكر الحال:

"وحيد في البيت مريضًا. حامد أفصح القوم خطيبًا. سليم كاتب جالسًا. زيد مضروب مشدودًا. ذهابي غدًا ماشيًا. الأطفال في المدرسة قارئين وكاتبين. الناس ذاهبون سريعين. اليوم حارٌّ شديد الحر. خالد ورشيد نائمان ساكتين".[9]

وهكذا يذكر المواقع للتعريف والتنكير:

"هذا القلم النفيس لسعيد. لرشيد قلم نفيس. إن وحيدًا في المدرسة. في البيت خادم وأطفال. إن في المكتب أطفالًا كثيرة. لا خادم لزيد ولكن لعمرو خدامًا كثيرة. لا شك في هذا الخبر ولكن في ذلك شكًا. لا حاجة لي إليه ولكن له إليّ حاجات. لا صديق لعباس ولأخيه أصدقاء كثيرة. لبيت لعباس صديقًا واحدًا".[10]

ولنا أمثلة كثيرة لهذا البحث ولمن يرد مزيدًا منها فليراجع نفس الكتاب.

بعض آرائه البديعة:

وقبل أن أختم البحث لا مناص لي من أن أذكر بعض آراءه التي خالف فيها الإمام النحويين القدماء وذهب إلى جهة أخرى جهة موافقة بالعقل وسهلة للعمل بها، فها هي ذي:

1. الموصولات العامة:

قد ذهبوا إلى أن "يوم" وأمثاله يأتي بعد الفعل مضاف إليه ففي قوله تعالى:

"هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم"، "يوم" مضاف إلى الجملة".[11]

وأما الإمام الفراهي فهو ذاهب إلى أن "يوم" وأمثال ذلك لا يضاف إلى الجملة بل هو اسم للموصول وأما الذي يأتي من بعده فهو صلة له كما يقول وهو يذكر الأمثلة تحت عنوان "الموصولات العامة":

"الكتاب جليسك حيث لا جليس لك، أنا مسافر غدًا إذ الناس ذاهبون للحج".[12]

2. المقياس:

إن لكل كلمة حروفًا أصيلة يقال لها "المادة" ولما تقبل الحركة ويلتحق بها بعض الحروف الزوائد فتصير صورة جديدة فهي سمّيت بـ"الوزن" كما "ح"، ب، ل" منها حبل وجمعه حبال ووزنه عظم وجمعه عظام ولكنه يصعب حينما نرجع إلى مادتها فلذلك وضع الإمام لكل كلمة "وزنًا خاصًا" وهو "ف، ع، ل" فنقيس على ذلك ما نبغي مادتها كـ"ركاب" فوزنه "فعال" ومادته "ر، ك، ب" وهذا سهل جدًا. فيقول الإمام الفراهي:

"إن لكل كلمة حروفًا أصيلة يقال لها "مادة تلك الكلمة" لما تقبل هذه الكلمة الحركة أو في بعض الأحيان يلتحق بها حروف زائدة فهي تصير صورة جديدة يقال لها "وزن تلك الكلمة" ككلمة

"الكتاب" ومادتها "ك، ت، ب" ووزنها "فعال" فلبيانه خصصنا "ف، ع، ل" والأحرف الأصيلة ثلاثة غالبًا فنضع "ف، ع، ل" في موضعها ولا نتعرض الحركات والأحرف الزائدة".[13]

وهكذا نقيس في علم الاشتقاق ونعلم بما في الكلمة من المادة وهذا سهل جدًا دون ما وضعوا من الأصل الصعب.

3. استعمالات الأفعال:

فإذا علمنا أن الفعل لا يعرف وأنه لا يؤثره أي عامل فقد زال أثر الكلمات التي ذكروها وسمّوها بنواصب المضارع وجوازمه وكيت كيت.

فالإمام الفراهي يخالف وذكرها تحت عنوان "استعمالات الأفعال" فيقول:

"إنه تأتي قبل الفعل الماضي– هكذا قبل كل فعل كما يظهر من التفصيل الذي ذكر من بعد– أحرف لا يتبدل بها شكل الماضي وتوجد هناك تبدلات معنوية".[14]

الخاتمة:

بدا من هذا البحث الوجيز أن الإمام الفراهي كان من كبار علماء النحو الهنود وأنه طوّر هذا الفن كما طوّر الفنون والعلوم الأخرى من التفسير والحديث والفقه والكلام. إنه ألّف العديد من الكتب والرسائل في هذا الفن ومنها "أسباق النحو" في جزئين و"تحفة الإعراب" و"النحو الجديد" و"مسائل النحو". إن رسائله هذه تحتوي على ما تحتويه من أفكار وآراء بديعة في النحو والصرف وتختلف عما تحويه رسائل العلماء الآخرين من الهند وغيرها من البلاد التي تعتني بالعربية وآدابها وفنونها اعتناء كبيرًا. إن محاولاته في مجال النحو مفخرة لنا وتدعو العلماء والباحثين إلى أن يقوموا بالبحث المزيد فيطوّروه ويقدّموه في أسلوب جديد وطريقة بديعة سهلة.

المراجع والحوامش

[1] الأستاذ حميد الدين الفراهي: أسباق النحو، 1/4-5، مطبعة تانده، فيض آباد، د.ت

[2] المصدر نفسه، ص 5

[3] الإمام الفراهي: تحفة الإعراب، ص 5، مطبعة الدائرة الحميدية، سرائ مير، د.ت

[4] المصدر نفسه، ص 12-13

[5] المصدر نفسه، ص 37

[6] المصدر نفسه والصفحة ذاتها

[7] أسباق النحو، 11/2

[8] المصدر نفسه، ص 17-18

[9] المصدر نفسه، ص 21

[10] المصدر نفسه، ص 49

[11] الإمام الزمخشري: المفصل في علم العربية، ص 96، دار الجيل، د.ت

[12] المصدر نفسه، ص 39

[13] المصدر نفسه، ص 58

[14] أسباق النحو، 15/2